جبل الجهاد وسيد المجاهدين

الشيخ الشهيد

عبد القادر السيد

أبو صالح المصري

لرفيق دربه الشيخ/

أبو دجانة

محمد بن محمود البحطيطي



بسم الله الرحمن الرحيم

جبل الجهاد وسيد المجاهدين

الشيخ الشهيد –بإذن الله–

عبد القادر السيد

أبو صالح المصري – رحمه الله

بقلم رفيق دربه، الشيخ المجاهد :

أبي دجانة (محمد بن محمود البحطيطي) حفظه الله



مركز الفجر للإعلام

صفر ١٤٣٤هـ ~ ١/ ٢٠١٣م

ليس من السهل الكتابة عن أمثال هؤلاء العظماء، عن هذا الجيل الفريد الذي ضرب بتضحياته وإقدامه ودفاعه عن دينه وأمته أعظم الأمثال، وكان حجة على دعاة الخنوع والاستسلام، وأبواق النفاق والخداع، حجة على القاعدين والمثبطين والمخذلين والمخالفين، إنه جيل فريد، جيل الجهاد، جيل التضحية والفداء، جيل الصبر والثبات، جيل يخاف ليأمن غيره، ويضحي ليسعد غيره، بل يقتل ليعيش غيره، جيل أخذ على عاتقه نصرة دينه ورفع الظلم عن أمته، جيل الغربة الثانية كما قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء».

فماذا عساي أن أكتب عن أحد هؤلاء العظماء، عن هذا الغريب الراحل، والحبيب المفارق، وأي بيان يسعفني لأبيِّن بعض ما يستحقه هذا الشيخ المجاهد الداعية الشهيد –كما نحسبه– أبو صالح المصري (عبد القادر السيد) رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

نعم رحلت أبا صالح، رحلت خير رحيل يتمناه كل صادق، رحيل الأتقياء الأخفياء، رحيل الصابرين الثابتين، رحيل المجاهدين المخلصين.

نعم رحلت لتترك إخوانك كالأيتام بلا أب، وكالصغار بلا كبير، وكالغريب بلا رفيق، وكالوحيد بلا أنيس.

نعم رحلت شهيدًا كما كنت تتمنى وإليه تجد وتسعى.

نعم رحل أبو صالح، حبيب القلب، وبلسم الفؤاد، وتاج الرأس، وجبل الجهاد، وسيد المجاهدين.

وهاك أيها القارئ كلمة موجزة عن هذا الشهيد الذي عاش وهاجر وجاهد وضحى واستشهد في زمن عز فيه الرجال، وقل فيه المخلصون أمثال هؤلاء الأفذاذ، الذين عاشوا لله، وهاجروا لله، وجاهدوا لله، وضحوا لله، ثم استشهدوا في سبيل الله.

ولد أبو صالح في صعيد مصر عام ١٩٦٢م لأسرة كريمة متدينة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لهذا الأصل الكريم والبيئة الصالحة أثره الطيب على شخصية شهيدنا، فنشأ حسن الخلق، طيب الشيم، كريمًا سخيًّا شجاعًا، واسع الصدر رحبه، كبير القلب رقيقه، وقل ما شئت من مكارم الأخلاق لتجد لشهيدنا نصيبًا وافرًا منها، هذا مع ما حباه الله من عقل راجح، ورأي سديد، ونظر ثاقب،

وبصيرة نافذة، وفراسة صادقة، وهمة عالية، ومنهج صافٍ، وغيرها من الصفات التي قلما أن تجتمع في شخص واحد في هذا الزمان.

إذا المكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضرب المثل

كان له في بلده الكثير من النشاطات الدعوية والاجتماعية وغيرهما حتى أحبه أهله وجيرانه وكل من يعرفه، إلى أن منَّ الله عليه وفتح له باب الهجرة إلى أفغانستان في عام ١٩٩٠م، فترك وطنه وأهله وماله وذهب ليشارك بعزم وهمة في الجهاد الأفغاني لنصرة إخوانه المسلمين في أفغانستان. فبدأ بذلك طريق جهاده ودرب رحلته نحو الشهادة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وكان رحمه الله كثير التعرض للمحن والأخطار، تمر به وهو ثابت صابر محتسب، متضرع إلى ربه ومولاه إلى أن ينجيه منها، وقصصه في ذلك لا تحصيها هذه الكلمة، فأنا شخصيًّا لا أعلم له في ذلك مثيلًا، مع كثرة ما يتعرض له المجاهدون من محن وأخطار، هي من لوازم طريق الهجرة والجهاد.

وقد كان مع ذلك كثير الرؤى صادقها، يراها كفلق الصبح، وفي كل محنة يمر بها وقصة نجاة يعيشها رؤى تسلي نفسه وتربط على قلبه، بل وعلى قلوب إخوانه ومن حوله.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب».

وهذه إشارة مختصرة إلى بعض المحطات التي مر بها شهيدنا في هجرته وجهاده:

جهاده لنظام مبارك البائد:

كان رحمه الله من السابقين في جهاد ومقارعة نظام مبارك البائد، الذي يتغنى الكثير الآن بمناقب مقاومته والوقوف ضد ظلمه وتسلطه وجبروته، وقد انضم رحمه الله لجماعة الجهاد وهي من الجماعات القليلة التي قاومت هذا النظام وجاهدته بالكلمة والسنان؛ لرفع ظلمه وكف عدوانه عن عباد الله، ولإزالة حكمه الجائر

وتحكيم شريعة الله والتمكين لدينه، وكان شهيدنا مسؤولًا عن جهاز الوثائق في الجماعة وإليه يرجع –بعد الله– الفضل في الكثير من الأعمال التي كانت تقوم بها الجماعة لمقاومة هذا النظام الفاسد المرتد.

سفره للسعودية وأسره وقصة نجاته من هذا الأسر:

سافر الشيخ أبو صالح رحمه الله إلى السعودية في أوائل التسعينات برفقة أخيه الأكبر الشيخ الجليل المجاهد مدين (أو جعفر كما كان يعرف في أفغانستان) في عمل كلفتهما به الجماعة، وهناك أسرهما زبانية آل سعود وأودعوهما السجن وعذبوهما عذابًا شديدًا؛ لا لشيء إلا لأنهما موحدان دخلا بلاد التوحيد كما يدعون، ثم قرروا ترحيلهما إلى مصر، وما أدراك ما الترحيل إلى مصر، فهناك ينتظرك جلادو مبارك ليسوموك سوء العذاب إلى أن ينجيك الله منهم ولو بالموت بين أيديهم.

وللشيخ رحمه الله قصص في هذا الأسر لا نطيل بذكرها، ونقتصر هنا على قصة هروبه من الأسر التي حيرت آل سعود وزبانيتهم:

استدعاه الضابط السعودي وأخبره بقرار ترحيله، وبأن مندوبي السفارة المصرية موجودون لاستكمال إجراءات الترحيل، فدعا عليهم أبو صالح وعلى الضابط الذي خاف من دعائه وجلس يعتذر له بقلة حيلته وعدم مسؤوليته، ولكن هيهات، ومن أين له النجاة من دعاء مهاجر مجاهد أسير مظلوم.

وكان الشيخ رحمه الله قد رأى رؤيا تأويلها أن الله سينجيه من هذا الأسر.

رجع الشيخ برفقة أحد حراس السجن، فطلب منه أن يتركه يتوضأ ويصلي ركعتين، فوافق الحارس وجلس على كرسي خارج المصلى.

قال لي رحمه الله ما معناه: بعدما صليت ودعوت الله بأن ينجيني شعرت بأن أذني لا تسمع شيئًا، فاستعنت بالله وخرجت من أمام الحارس دون أن يراني، وذهبت خارج المبنى إلى مكان آخر، واختبأت فيه أربع ساعات وأنا أراهم يبحثون عني يمنة ويسرة، وهم في اضطراب شديد وحيرة واضحة، ولا يروني مع قربي الشديد منهم، وكأن الله أعمى أبصارهم كما أعمى بصر الحارس قبلهم، ثم عندما هدأ البحث تسلقت الجدار وقد قدر الله أنهم كانوا يقومون بإنشاءات جديدة وهناك ما يساعد على الصعود على الجدار، وخرجت من السجن، وكنت قد خبأت في سروالي خمسمئة ريال كانت سببًا لإعانتي على الوصول إلى بعض

أهل الخير، ثم اتصلت بالشيخ الدكتور أيمن الظواهري في بيشاور وأخبرته بما حدث، فرتب لي طريق الخروج من السعودية، ونجاني الله من أيدهم.

{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}.

يحكي أخوه الشيخ جعفر –والذي رُحِّل إلى مصر وخرج مؤخرًا من السجن– أنه انتشر في السجن بعد نجاة الشيخ أبي صالح أنه قد اختفى وهو يصلي، وأن الحارس يقسم أنه كان يصلي وفجأة اختفى بكرامة لم يفهموها إلى الآن.

سفره لسوريا لجهاد اليهود مع إخوانه الفلسطينيين وأسره ثم نجاته:

بعد انتهاء الجهاد الأفغاني واشتداد التضييق على المجاهدين من قبل الصليبيين وأعوانهم من الحكام المرتدين، سافر الشيخ أبو صالح في أواسط التسعينات إلى سوريا لإعانة إخوانه الفلسطينيين في جهادهم ضد اليهود، وكعادة الحكومات العميلة –حراس اليهود وحماة ديارهم– قامت الحكومة السورية بأسر الشيخ ومعه الشهيدين أبو أيمن المصري وميسرة المصري رحمهم الله،[(١)] وأسر معهم بعض الفلسطينيين، وأودعوهم في سجن للقتل البطيء، وأحيانًا السريع إذا أرادوا، وظل الإخوة في السجن سنة ونصف السنة رأوا فيها من صنوف التعذيب ما لا يوصف، ولعل ما يحدث الآن في سوريا أظهر للناس بعض ما كان يفعله هذا النظام الطاغي ضد عباد الله المستضعفين.

أخبرني الشيخ أبو صالح وقال لي: ذات يوم رأيت في منامي أن حارس السجن دخل علينا وقال: من فيكم أبو صالح، فأجبته، فقال: جهزوا أنفسكم لتخرجوا من السجن. ثم استيقظت فأخبرت الإخوة وبشرتهم بالرؤيا فلم يصدقوا –وكيف الخروج من هذه السراديب المحكمة ومن أيدي هؤلاء الظلمة– وبعد قليل دخل الحارس ونادى على أبي صالح، فنظر أبو صالح لإخوانه وفي وجوههم الدهشة، ثم أجابه، ثم قال له الحارس: المسؤول يريدك –أو كلمة نحوها– فذهب ليخبره هذا الضابط بأن أوامر قد جاءت بالإفراج عنهم، وما عليهم إلا أن يجهزوا أنفسهم لذلك، ففرج الله عنه وذهب إلى اليمن حيث كان ينتظره أهله وأولاده الذين سبقوه قبل مدة من سوريا، ثم بعد ذلك ضاقت عليه –كما على إخوانه المجاهدين– اليمن بل والأرض

---

(١) أما أبو أيمن فقد استشهد في أفغانستان وهو يقاتل الصليبيين عام ٢٠٠٤، وأما ميسرة فقد قتله اليهود بتفجير سيارة مفخخة في مخيم عين الحلوة في لبنان في بداية عام ٢٠٠٣م، رحمهما الله رحمة واسعة.

جميعها بما رحبت، ولم يجدوا فيها شبرًا واحدًا آمنًا يأمنون فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم؛ مما دفعه إلى التفكير في الذهاب لإيطاليا.

ذهابه إلى إيطاليا وقصة هروبه التي حيرت الاستخبارات الإيطالية:

رحل شهيدنا إلى إيطاليا سنة ١٩٩٨م وهناك رفض أن يأكل إلا من عمل يده، وأبى أن يأخذ من الحكومة الإيطالية أي مساعدة أو أموال كما يأخذ غيره من المهاجرين، وقد عمل إمامًا لمسجد في ميلانو، فكان في الصباح يعمل في أعمال الإنشاءات ليطعم أهله وأولاده، ثم بعد ذلك يذهب لعمله في المسجد يدعو فيه إلى الله، وقد وسع نشاط المسجد الدعوي، وكان له بعض الأنشطة الاجتماعية والتجارية جعلت المسجد يكتفي ذاتيًّا ولا يحتاج إلى تبرعات، حتى أخبرني أنه كانت تأتيه الأموال فلا يجد من يأخذها، فيقف على المنبر ويقول: لدينا مال فمن احتاج فليأتنا.

وكان رحمه الله صادعًا بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، يدعو المسلمين للتمسك بدينهم ونصرته والجهاد في سبيله، هذا مع كثرة الضغوط التي تعرض لها من الاستخبارات الإيطالية، بل ومن بعض المحسوبين على الدعوة في تلك البلاد.

ثم سمع الشيخ بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان فاشتاقت نفسه للهجرة إليها، وقد كان موضوعًا تحت المراقبة الشديدة من قبل جهاز الاستخبارات الإيطالية، وحقق معه أكثر من مرة، ومنع من السفر، فقرر رحمه الله الخروج من إيطاليا، ووضع لهذا الأمر خطته المحكمة التي ما زالت تحير الاستخبارات الإيطالية إلى الآن، وكنت أنوي كتابة ما حدث وقصه عليَّ الشيخ رحمه الله بنفسه، ولكني رأيت أن أبقيهم في حيرتهم ليموتوا بغيظهم.

هجرته إلى الإمارة الإسلامية في أفغانستان:

وصل الشيخ أبو صالح بعد ذلك إلى أفغانستان ففرح بقدومه الشيخ أسامة بن لادن والشيخ أبو حفص المصري -رحمهما الله- والشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- وغيرهم من إخوانه المهاجرين ممن عرفوا عظيم قدره وجلالة شأنه، فرحبوا به وأنزلوه منزلته، ثم بايع شهيدنا الشيخ أسامة على الجهاد في سبيل الله.

وقد كان مجيئه قبل غزوات الحادي عشر من سبتمبر بشهرين، ولم يكن يعرف بها، ولا قصد هذا التوقيت في المجيء، ولكنه توفيق من الله أن أخرجه قبل هذه الأحداث وإلا اتخذتها الحكومة الإيطالية ذريعة للقبض عليه وتوجيه التهم إليه.

وقد كان رفيقه في التجوال في أفغانستان صديقه القديم الشيخ الحبيب أبو حمزة المهاجر (أبو أيوب المصري رحمه الله) فجالا سويًّا في أفغانستان، يدعوان إلى الله وينصحان ويوجهان، إلى أن قدر الله سقوط الإمارة الإسلامية وخروج الكثير من المجاهدين من أفغانستان، وكان منهم شهيدنا، فذهب إلى باكستان المجاورة وظل فيها مدة من الزمن يساعد في تسفير الإخوة المجاهدين إلى أماكن متفرقة، ثم بعد أن قضى مهمته وأدى واجبه ذهب إلى إيران.

الذهاب إلى إيران:

ذهب شهيدنا إلى إيران ليلتحق ببعض إخوانه هناك ويكمل عمله المكلف به، وعاش كعادته الكثير من الأخطار التي نجاه الله منها، وحاولت الاستخبارات الإيرانية أسره أكثر من مرة، ولكن الله خيب سعيها ولم تفلح في ذلك، -وله في ذلك قصص كثيرة ومثيرة تركتها خوف الإطالة- وظل في إيران إلى أن قدر الله له الأسر، فسجن هناك ما يقارب الثماني سنوات مع أهله وأولاده، ومعهم الكثير من إخوانه المجاهدين ونسائهم وأطفالهم، ورأوا في هذه السنين من صنوف الأذى وألوان الظلم والتضييق ما يندى له الجبين، ولولا خوف الإطالة لذكرت من ذلك الكثير، ولعل الله ييسر ذلك في مقام آخر. وقد أتم شيخنا في هذا الأسر حفظ كتاب الله، واهتم بتعليم أولاده وتحفيظهم القرآن، وكان رحمه الله كثير العبادة والتقرب إلى الله، إلى أن فرج الله كربه وفك أسره وأسر أهله وأولاده.

الرجوع إلى خراسان:

بعد خروجه من الأسر في إيران اختار أن يرجع إلى خراسان (وبالتحديد وزيرستان) ليشارك إخوانه الملحمة التي يعيشونها، وليعينهم في جهادهم ضد التحالف الصليبي وأعوانهم من المرتدين والمنافقين، وقد تعرض مع أهله وإخوانه في الطريق لمخاطر شديدة أنجاهم الله منها، فمن ذلك ما أصابهم وهم في طريقهم في أفغانستان، فقد داهمتهم سيول شديدة، وبالكاد استطاعوا إخراج النساء والأطفال من السيارة -وقد أشرفوا على الهلاك- ثم انحازوا إلى طرف الوادي قبل أن يأخذ الماء السيارة بما فيها، وذهبوا إلى إحدى القرى بعد

معاناة شديدة بسبب غزارة الأمطار وبرودة الجو ووعورة الطرق، ثم شاء الله أن يتوجهوا إلى قرية أخرى، وفي نفس الليلة قام الأمريكان بإنزال قوات خاصة للقبض عليهم، وقد وصلتهم معلومات بوجودهم في القرية، ولكن الله سلم فلم يجدوا سوى سائق سيارة التهريب فقبضوا عليه.

ثم بعد وصوله إلى وزيرستان تولى مسؤولية جبهة (أنغور أده) في أفغانستان، ووفقه الله للنكاية في العدو الصليبي نكاية شديدة، وقد كان له الكثير من الأنشطة والأعمال الجهادية، ويمنعني من ذكرها أن فصولها ما زالت لم تنته بعد.

أسد على الأعداء يُرغِم أنفهم قهرًا ويثأر صادقًا للدين

وقد حاول الأمريكان قتله أكثر من مرة، ولكن الله خيب سعيهم، وحدث له كعادته من القصص ما يعجب منها العدو قبل الصديق، ولولا الخوف من استفادة الأعداء مما فعله شهيدنا، لقصصت في ذلك ما يُعرف به قدره وحنكته، وشدة ذكائه وكثرة تجاربه.

وكان رحمه الله في وزيرستان -كما في غيرها- كثير الاهتمام بأُسَر إخوانه الشهداء والمجاهدين، كثير التفقد للأرامل والأيتام، مؤديًا لحقهم وقاضيًا لحوائجهم، ولعل ذلك كان سبب استشهاده، فقد أخبر الشيخ من كان معه قبل أن يقتل بيومين، أن أسرة أحد إخوانه المجاهدين في أفغانستان ليس معها من المال ما يكفيها، وهو يريد أن يذهب ليعطيهم ما يعينهم حتى مجيء عائلهم، وكانت الطائرة الجاسوسية تحلق فوق البيت ولا يدري كيف يخرج، ولعله في النهاية قرر الخروج خوفًا على هذه الأسرة، فضحى رحمه الله بنفسه وفاء لإخوانه الشهداء والمجاهدين وبرًّا بهم.

استشهاده:

كان رحمه الله يتمنى الشهادة وسعى لها كثيرًا، ولكن لكل أجل كتاب.

زاره أحد إخوانه قبل أن يقتل بيومين فقال: «رأيته والله وكأن وجهه يشع نورًا، ومع طول عشرتي له -وقد عرفته منذ أكثر من عشرين عامًا- إلا أنني لم أر وجهه كما رأيته في هذا اليوم، حتى قلت له: ما بال وجهك وكأن عمرك قد صغر عشر سنوات؟ فتبسم وقال: لعله من الحناء التي وضعتها».

وكان قد رأى قبل مقتله بأسبوعين عدة رؤى تأويلها بأن الله تعالى سيرزقه الشهادة في سبيله فكان كما رأى.

وقد قتل رحمه الله في شهر رجب ١٤٣٣هـ بقصف طائرة أمريكية بدون طيار مع ولده الصالح: صالح، ولسان حالهما يقول:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وهنا لا بد من وقفة مع ولده الشهيد –كما نحسبه– صالح رحمه الله، فهو الشريف ابن الشريف، والكريم ابن الكريم، الابن البار، كان له نصيب وافر من اسمه، فقد كان –كما نحسبه– شابًّا نشأ في طاعة الله، صالحًا تقيًّا، حافظًا لكتاب الله، مجاهدًا في سبيله، بارًّا بوالديه، عطوفًا على إخوانه –وكان أكبرهم–، كريمًا سخيًّا شجاعًا مقدامًا، حباه الله بحسن خلق وجميل شيم كأبيه رحمهما الله.

ولد صالح في الهجرة عام ١٩٩٣م –وأمه –ثبتها الله وعظم أجرها– كما أبيه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم– عاش مع أسرته سنوات المحنة والهجرة، فصبر كما صبروا، واحتسب كما احتسبوا، وكان صغير السن كبير العقل، يفوق أقرانه في تفكيره واهتماماته، أحب الجهاد حتى تغلغل حبه في أعماقه، طلب منه أبوه أن يرافق أمه خارج أرض الجهاد لضرورة طرأت عليهم، فجلس يبكي حزنًا على فراق أرض الجهاد، ولولا طاعة أبيه ما خرج منها، ثم سرعان ما عاد إليها بعد أشهر قليلة متلهفًا للجهاد، طالبًا للشهادة في سبيل الله.

رافق أباه في جبهات القتال يخدمه ويجاهد معه إلى أن قضى الله أن يرحل معه، فقصف مع أبيه واستشهد بجواره.

هذا بعض ما أذكره عن شهيدنا وابنه، ولو كتبت ما أعرف لجف القلم وفني القرطاس، بل وفني العمر، وما وفيت مع ذلك حقهما.

فرحمك الله يا أبا صالح، ورحمك الله يا صالح، عشتما غرباء أعزاء، ورحلتما إلى ربكما شهداء.

وبعد: فهذا يا أمتي رجل من رجالاتك، ومجاهد من مجاهديك، وعلم من أعلامك، هاجر لينصرك، وجاهد ليدافع عنك، واستشهد وهو يذود عن حياضك، فأين نصرتك؟!.

اللهم إنا نشهد أن عبدك أبا صالح قد عاش غريبًا مهاجرًا مجاهدًا، لا لدنيا ابتغاها، ولا لشهوات قضاها، وإنما ابتغاء مرضاتك، ورغبة فيما عندك، اللهم فأكرم نزله ولا تحرمه أجره.

اللهم تقبله وابنه، واغفر لهما، وارفع درجاتهما، وثبتنا على دربهما إلى أن تلحقنا بهما وبإخوانهما في جناتك جنات النعيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

رفيق درب الشهيد (كما نحسبه)

أبو دجانة

محمد بن محمود البحطيطي

ادعوا لإخوانكم المجاهدين

إخوانكم في

مركز الفجر للإعلام

صفر ١٤٣٤هـ ~ ١/ ٢٠١٣م